المحاضرة التاسعة

شرح كتاب الإبانة الصُّغرى للإمام ابن بطة رحمه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا المصطفى محمداً عبد الله ورسوله، نكمل كلامنا مع الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة للإمام ابن بطة العكبري - رحمه الله –، ما زلنا مع البحث الذي عملنا له مخططًا في الحلقة السابقة: رؤية الله - عز وجل -، وقد قلنا ليس معنى رؤية الله أن الله يَرى، رؤية الله أن الله يُرى، يراه خلقُه، وقلنا أن البحث يتعلق برؤية الله - عز وجل - في الدنيا وفي الآخرة على التفصيل الذي ذكرناه.

٢٥٣- قال :ويعلمُ بعد ذلك أنه سبحانه يتجلَّى لعبادهِ المؤمنين يومَ القيامة؛ فيرونهُ ويَراهم ويُكلمهم ويُكلمونه، ويُسلِّم عليهم، ويضحكُ إليهم، ويَضحكون إليهِ، لايُضامون في ذلك ولايرتابون ولايشُكون، فمن كذّبَ بهذا أو ردَّهُ أو شكَّ فيه أو طعنَ على راويه؛ فقد أعظمَ الفرية على اللّه - عز وجل -**، وقد برئ من اللّه ورسوله، واللّه ورسوله منه بريئان، كذلك قالت العلماءُ وحلَفَ عليهِ بعضُهم.**

واضح أنه يتكلم على خصوص الرؤية في الجنة، لأجل ذلك أنا لم أطِل الكلام فيها على المخطط، وقلنا : أن رؤيةَ المؤمنين لربهم في الجنة ثابتةٌ حاصلة إجماعاً، ولم يُخالف في ذلك إلا أهل الأهواء والبدع عافانا الله وإياكم من الأهواء والبدع، فأهل السنة مجمعون على ذلك جيلاً بعد جيل، وارثونه كابراً عن كابر عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تسليماً وأحاديث ثبوت رؤية المؤمنين لربهم في الجنة

بلغت حد التواتر، بلغت حد التواتر المعنوي، المعنى ثابت جدًا في أحاديث كثيرة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم -، عشرات الصحابة – رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم – رووا عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رؤية المؤمنين لربهم في الجنة، والأحاديث طبعاً كثيرة جدًا في هذا الباب ونحن لانُريد أن نقف أمام هذه المعاني؛ لأن الأمور مستقرة عندنا الحمد لله، وهذه المسألة ليست موضع صَخَب أو إزعاج كثير، ويكفي ما دُوِّن في مصادر أهل السنة، والأشاعرة معنا في هذه المسألة يقولون إنه يوجد رؤية في الجنة لكن يقولون بلا جهة، وليس لنا شأن بهم، نحن نتكلم على أن الرؤية حاصلة بإجماع أهل السنة الذي هم أهل السنة، ولما نقول أهل السنة من الآن فصاعدًا، خاصةً مع ابن بطة العكبري والأئمة الكبار تكون على علم عمّن نتكلم؛ لأجل ألا نتحاشى أو نتحرز في كل مرة.

فهنا الأدلة الظاهرة في القرآن قول الله - عز وجل - ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ القيامة: ٢٢ – ٢٣، وقول الله - عز وجل - ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ يونس: ٢٦، وقول الله - عز وجل - في حق الكفار ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ المطففين: ١٥، دلَّ بمفهومه أن غيرهم من أوليائه ليسوا محجوبين، بل يُمَتَّعون بالنظر إلى وجهه الكريم – سُبحانه وتعالى -، وفي الحديث أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال لأهل الجنة : {يا أهل الجنة هل تُريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون ألم تبيض وجهنا؟ ألم تُدخلنا الجنة؟ ألم تُعطنا ما لم تعطِ أحداً من العالمين؟ فيقول : بلى إن لديه مزيدًا من ذلك ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ ق: ٣٥، فيكشف ربُّ العزة جل وعلا حجاب البهاء والكبرياء عن وجهه فيعدل ما هم فيه من النعيم} يعني كل الذي شاهدوه في الجنة لايُساوي النظرة إلى وجه الله – سُبحانه وتعالى -، نسأل الله - عز وجل - أن يجعلنا من أهل الجنة ومن أهل النظر إلى وجهه الكريم .

قال : فمن كذبَ بهذا أو ردَّهُ أو شكَّ فيه أو طعنَ على راويه فقد أعظمَ على الله - عز وجل - الفرية ، وأبسط طريق في مسألة قبول هذه الروايات نقول لهم : الذين رووا لنا أحكام الصلاة والطهارة والزكاة والحج والبيع والشراء والنكاح والطلاق، هم الذين رووا لنا حديث الرؤية وأحاديث الصفات – رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم –.

الباب الذي بعد ذلك بعنوان : **القضاء والقدر**، والحمد لله أتم ربنا علينا النعمة بأننا تدارسنا بحث القضاء والقدر بأربع حلقات وأخذناه من مصدر لطيف وسهل وجميل الذي هو : متن المعارج بزيادات التي هو متن سلم الوصول، بشرح المعارج نفسه كلام الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، وإضافات من متن معارج الجنة في نظم كتاب المنة في اعتقاد أهل السنة، وعملنا ملفًا الحمد لله أربع حلقات ترجع إليهم الأخوة، والذي لم يحضر معنا هذه الدورة؛ لأنني لن أستطيع أن أضع أربع ساعات في صفحتين، فسنأخذ الأصول العامة ونرى هنا كلام الإمام ابن بطة في الإبانة الصغرى.

٢٥٤- **قال** رحمه الله: **ثم من بعد ذلك : الإيمان بالقدر خيرِهِ وشرهِ، حلوه ومره، قليله وكثيره، مقدُورٌ واقعٌ من الله** - عز وجل - **على العباد في الوقت الذي أراد الله أن يقعَ، لايتقدمُ الوقت ولايتأخرُ، على ماسبق بذلك علمُ الله** - عز وجل - **، وأن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما تقدم لم يكن ليتأخر، وما تأخر لم يكن ليتقدم** ــ الإيمان بالقدر من أعظم مجالات هدأة النفس وطيب الصدر وانشراح القلب، لمن عقله عن الله ورسوله **صلى الله عليه وسلم**، ودخله من مشكاة النبوة؛ لأن الإنسان لو خاض في القدر وهذا مبحث صعب جداً وعسر جداً على من لم يَسْتنر فيه بنور الوحي المطهر إلى نبينا محمد – **صلى الله عليه وسلم** – قرآناً وسنة، حتى وإن كان من كان لأن النبي محمد – **صلى الله عليه وسلم** – دخل على أصحابه وهم يتخاصمون في القدر فقال : بهذا أُمرتم !!؟ أم لهذا خُلقتم !! تضربون كتاب الله - **عز وجل** - بعضه ببعض!! فالنبي – **صلى الله عليه وسلم** – غضب جداً لأن واحدًا يذكر آية، والآخر يقول آية ثانية، لم يعرفوا سر المسألة من النبي – **صلى الله عليه وسلم** –، لم يعرفوا أصول الإيمان بالقدر من النبي – **صلى الله عليه وسلم** –، فدخلوا إلى الباب مباشرةً، وبدؤوا يتجادلون، حتى إن في بعض الأحاديث يمثل الراوي غضب رسول الله – **صلى الله عليه وسلم** – في هذه المسألة، قال : فكأنما فقئ في وجهه – **صلى الله عليه وسلم** – حبُ الرمان، وكان يحدث ذلك منه حال غضبه – **صلى الله عليه وسلم** –.

وقد قال بأوضح عبارة : إذا ذُكر القدر فأمسكوا، يعني الذي ليس لكم فيه، ولستم بقادرين على الكلام فيه، ولم تدرسوا هذا الباب، ولا يوجد عندك نور وحي قرآن وسنة ولا كلام أئمة ولا قواعد أهل السنة فأين تذهب؟! إذا ذُكر القدر فأمسكوا، تسكت ولاتتكلم أبداً، إنما ليس كل الناس إذا

ذكر القدر فأمسكوا، وإلا فالصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم تكلموا والنبي – صلى الله عليه وسلم – نفسه تكلم، والقرآن عرض قضية القدر بأوضح عبارة، لكن من يقرأ ومن يسمع الكلام وأصوله وفهمه وقواعده؟! ليست مُتاحة لأي حد، ومن يتحرى الخير يُعطه ومن يتوق الشر يوقه.

الإيمان بالقدر خيره وشره، _ وأنتم تعرفون عبد الله بن عمر لما قال : والذي نفس عمر بيده لو أنفق أحدهم مثل أحدٍ ذهباً ما تقبله الله منه حتى يؤمن بالقدر، عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه وأرضاه قال لابنه محمد : أن تعلم أن ماأصابك لم يكن ليُخطئك، وأن ماأخطأك لم يكن ليُصيبك، وأنك إن مت على غير ذلك مت على غير ملة محمد صلى الله عليه وسلم ، هذه محطات لأجل أن أُعرفك فهم الصحابة وكلامهم في هذا الباب والأدلة كثيرة جداً في آثار من سلف رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم من الصحابة فصباً، صحابة فتابعين وتابعي التابعين أئمة السنة أرباب الحديث رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم ، علماء العقائد المتون والشروح والحواشي في هذا الباب الكلام كثير جدًا في القدر، لكن على قواعد وضوابط واضحة جدًا توصل الطالب والباحث إلى بر الآمان من غير الوساوس والضوائق والأشياء والحرج الذي يجلبه الإنسان على نفسه بتجرئه لخوضه في هذه المباحث من غير الأخذ بأسباب العلم والبصيرة.

قال : وفي هذا من صحة الدلائل وثبوت الحجة في جميع القرآن وأخبار المصطفى صلى الله عليه وسلم **مالايُمكن دفعهُ، ولايُقدر على رده إلا بالافتراء،** _ إذا أردت أن تقرأ بحث القدر قراءة سهلة ويسيرة ومُشبعة بالأدلة، خذ الجزء المتعلق بالقضاء والقدر من معارج القبول، وهو كتاب سهل وبسيط، وقريب العبارة، ومؤلفه شاب رحمه الله ، ألف المتن وعمره ١٩ سنة ومات وعنده ٣٤ / ٣٦ سنة، وتشعر بأنه صاحبك، كلام قريب وبسيط كأنه أخ منا ،وليس المقصود ببساطته إنه شيء بسيطة! إنما هو سهل العبارة، الكلام ليس بغريب وفيه حبكة جميلة علمية وسهلة ويسيرة بفضل الله – سُبحانه وتعالى -.

قال : وفي هذا من صحة الدلائل وثبوت الحجة في جميع القرآن وأخبار المصطفى صلى الله عليه وسلم **مالا يمكن دفعه ولايُقدر على رده إلا بالافتراء على الله** - عز وجل - ، **ومُنازعته في قُدرته،** _ تكون المسألة من باب المماحلة والصفصدة في هذا

الباب ــ ، **وإلى ماوصفنا** ــ الإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره... إلخــ، **وإلى ماوصفنا دعتِ الرسل** ــ إذاً قاسم مشترك بين جميع الأنبياء من عهد آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم ، الإيمان بالقدر خيره وشره، هذه مسَلَّمة إيمانية وقاعدة كلية إيمانية عندهم، قاسم مشترك بين جميع الأنبياء أركان الإيمان الستة ومنها الإيمان بالقدر ــ .

وإلى ما وصفنا دعت الرسل وأُنزلت الكتب، وعليه اتفق أهل التوحيد ممن أقر لله بالربوبية ــ لأن الإمام أحمد رحمه الله لما سُئل عن القدر قال : القدرُ سرُّ الله في خلقه ، لأجل لما تصل لآخر جزء لماذا فعل؟ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ الأنبياء: ٢٣، هذا سره في خلقه، منطقة محظورة لماذا تسأل هنا ؟! وهذه المشكلة التي أتعبت الناس كلها، لماذا اختار كذا؟ لماذا فعل كذا؟ لماذا كان كذا على صورة كذا؟ وما شأنك أنت؟! من الذي يسأل من؟ المشكلة احترم دورك احترم مكانك، الإشكالية أنك تتمادى بك الجهالات يركبُ بعضها بعضاً إلى أن تجد نفسك تحاكم ربنا – سُبحانه وتعالى -، وأنت لا تستطيع أن تحاكم زوجتك في البيت ! تحاكم ربنا – سُبحانه وتعالى -؟! حاجة غريبة وعجيبة والله، إنسان لا يستطيع أن يسيطر على طفلين عنده في الفصل، يريد أن يسيطر على أفعال ربنا – سُبحانه وتعالى -أمر غريب وعجيب والله!! ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ في زماننا، كلما سأل أحد أحدًا عن شيء، قال له: لا شأن لك بذلك، فتركنا الدنيا كلها وذهبنا نسأل ربنا؟!! وهو الذي نص صراحةً على أنه لا يُسئل عما يفعل، الزم حدودك، وقف وقل بما علمت ومالا تعلم كِلهُ إلى عالمه وانتهت المسألة، وقد قلنا أيضاً لأجل أن نذكر بعضنا : إن الإشكالية عند كثير من السائلين يأتي عند نقطة لماذا فعل، نقول ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ ويأتي عند نقطة ثانية : كيف فعل؟ كيف جعلني قادراً مختاراً غير مجبورٍ على أفعالي ومع ذلك ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ التكوير: ٢٩، أقول لك أنت تسأل عن فعله فيك، وعن كيفية فعله فيك؟ وأنت تقول أن هذا فعلُ الله؛ صفة الله، صحيح أليس كذلك، وأنت كل الصفات عندك لا تثبتها بلا كيف فلماذا هذه؟! لماذا أخرجت هذه من الجدول؟ كيف جعلني قادراً ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ كيف جعلني مُريداً مختاراً ومع ذلك أنا لست مجبورًا ولأنه قد تقدم علم الله قبل علمي وقدرة الله قبل

قدرتي، ومشيئة الله قبل مشيئتي وأيضاً أنا لست مجبورًا؟! كيف تكون هكذا ؟! أنت تقيس على قدراتك، ونحن نتكلم على قدرات ربنا في عباده على فعل الله في خلقه، بلا كيف؟! كما ينزل بلا كيف، فعل ذلك بلا كيف، وكما سيأتي يوم القيامة بلاكيف فعل ذلك بلاكيف، قال لك فعلت آمن، كيف فعل لم يُخبرك سَلِم، فالإشكالية أنك تسأل سؤالين ليسوا لك؛ لماذا فعل وكيف فعل، لا أنت من حقك أنك تسأل لماذا فعل، ولا أنت من قانون الإيمان عندك كيف فعل ، بلا كيف.

قال : وإلى ما وصفنا دعت الرسل، وأُنزلت الكتب وعليه اتفق أهل التوحيد ممن أقرَّ لله بالربوبية ، وعلى نفسه بالعبودية _ أقرَّ على نفسه بالعبودية _ ، **من ملكٍ مُقرب، ومن نبي مرسل مُنذ كان الخلقُ إلى انقضائه:** _ كان بمعنى وُجِد، منذ كان الخلق يعني منذ وجد الخلق _، **مجمعون على أنه ليس شيءٌ كان ولا شيءٌ يكون في السماوات ولا في الأرض، إلا ما أراده الله** - عز وجل - **وشاءه وقضاه** _ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، ماشاء الله كان يعني وجد حصل، وما لم يشأ لم يوجد لم يحصل _ ، **والخلقُ كُلهم أضعفُ في قوتهم، وأعجز في أنفسهم من أن يُحدثوا في سُلطان الله** - عز وجل - **شيئاً يُخالفون فيه مُراده** _ فكفر الكافرين ليس رغماً عن الله، ظلم الظالمين ليس رغماً عن الله، معصية العاصين ليست رغماً عن الله،ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ستقول لي عن ربنا أراد كفر الكفار وظلم الظالمين ومعصية العاصين؟ أقول لك نعم أراده كوناً لاشرعاً، ونحن نعلم في تفاصيل الإيمان بالأسماء والصفات وبحث الإرادة لوحده؛ أن إرادة الله منها كونية قدرية ومنها شرعية دينية، ولو عرفت الفصل بين الاثنين ستحل لك إشكالات كثيرة جدًا في باب القضاء والقدر كما قال ابن القيم رحمه الله وطيب ثراه.

ولذلك يأتي السؤال المشهور الآن : هل يجوز تحديد نوع الجنين؟ أنني أذهب لدكتور النساء والتوليد، وأقول له أنا أريد ولدًا ذكرًا وليس أنثى وأريدهم توأم، وليس واحد فهل يجوز؟ أليس هذا تدخلًا في قدر الله؟ لا ليس تدخلًا في القدر، مهما اجتهدت وأتيت بدكاترة الدنيا اخترت في كل شعره بلون من شعر ابنك لم تُغير من قدر الله شيئًا، بل أنت ذاهب لتنفيذ القدر، كلٌ مُيسر لما خُلق له، أنت في اتجاه التنفيذ وليس في اتجاه الإنشاء، لست أنت الذي ستنشئ قدرًا جديدًا، أنت تُنفذ ما سُطر

لك، ما قُدر لك، فكون أن ربنا أقدرك فالحمد لله، أعجزك الحمد لله أيضاً، ولذلك النبي **صلى الله عليه وسلم** علمنا أن نحمد الله على كل حال، كان إذا أصابه خيرٌ قال : الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإذا أصابه شرٌ قال : الحمد لله على كل حال، لماذا ؟ لأنه يستحق الحمد، فحتى ما قدَّرهُ من إيذاءٍ عليك أو من شرٍ فيك أو من سوءةٍ أو سيئةٍ؛ فهو لحكمةٍ بالغةٍ قضاها يستوجب الحمد على اقتضادها، كونك لست بعارف ليس معناه أنه غير موجود، فعدم العلم ليس علماً بالعدم، عدم علمك بحكمة الله في المسألة ليس علماً منك بعدم حكمة الله في المسألة، أنا لا أعرف فعبر عن جهلك واسكت وستستريح وتنتهي المسألة، وضربنا المثال الذي نُكره كثيراً، طب الطبيب وهندسة المهندس فيما يكون إراقةً للدماء بالجراحة أو هدماً للعقارات والأرضين بالإزالة لأنه آيل للسقوط، هو في حق المهندس هندسة، وفي حق الطبيب طب، لكن في حق أصحاب البيت أقعدنا في الشارع ، وفي حق المريض فتحت بطني وأرقت دمي، فيوجد فرق بين فعل الفاعل والمفعول منه صحيح أم لا؟، ولذلك لما النبي **صلى الله عليه وسلم** قال : والشرُّ ليس إليك، ليس في ذاتك وليس في أسمائك وليس في صفاتك وليس في أفعالك، لكنه يوجد في مفعولاتك.

قال : فالإيمان بهذا حقٌ لازمٌ فريضةٌ من الله - عز وجل - **على خلقه، فمن خالف ذلك أو خرج عنه أو طعن فيه ولم يُثبت المقادير لله** - عز وجل - **ويُضفها ويُضِف المشيئة إليه فهو أول الزندقة، لأنه جاءت الأخبارُ أنَّ القدرَ (أبو جاد) الزندقة.** _ يعني ألف ب الزندقة يعني، وهي أ ب ج د ، هي أبجد فيسمونها أبا جاد، يعني جعلوها من الأسماء الخمسة، لكن هي أبجد، أ ب ج د . هوز يعني أبجديات أو مبادئ أو المداخل البسيطة، أن القدر أبو جاد الزندقة، لماذا؟ لأنه لو تكلم بغير علمٍ تزندق قطعاً، سيسأل ربنا، وسيحاكم ربنا، ولماذا ياربي، كما هو "فريد الأطرش" فهو درزي من الطائفة الدروز التي تعبد الحاكم من دون الله – سُبحانه وتعالى -، أي حاكم، كما كان من فعلوا مع بشار الأسد دروز نفس العينة، فالشاهد أنه يتهم ربنا بالقسوة وبالظلم وبالخطأ، وقدرّ أحمق الخطا فكل هذه زندقة بسبب الجهل، تكلم وفتح ملف القدر.

٢٥٥- **وقال** صلى الله عليه وسلم: { **لُعنتِ القدريةُ والمرجئةُ على لسان سبعين نبياً وأنا آخرهم** } ــ هذا الحديث ليس صحيحاً ولكن ذم هؤلاء الطائفة مجمعٌ عليه عند السلف رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم ــ.

٢٥٦- { **كتب الله** - عز وجل - **على كل نفسٍ حظَّها من الزنا** } ــ هذا حديث بمعناه، النبي محمد صلى الله عليه وسلم قال : إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا مدركٌ ذلك لامحالة، فالعين تزني وزناها النظر، واليد تزني وزناها البطش، والأذن تزني وزناها الاستماع، والفم يزني وزناها القُبَل، والقلب يهوى ويتمنى، والفرج يُصدق ذلك أو يُكذبه ، أي أن الفرج ينقله من حيز الحقيقة للمجاز أو يحبسه في المجاز، من حيث المجاز لا الحقيقة، لأن زنا الفم القُبل مجازاً وليس حقيقة، زنا اليد البطش، زنا مجازي بالنظر، وزنا مجازي باللمس وزنا مجازي بالمشي، لأن الزنا الحقيقي موجب للحد، ولا يوجد أحد من أمة لا إله إلا الله قال: من نظر نظرةً هي عند الله زنا أن يُجلد إن كان بكراً ويُرجم إن كان مُحصناً لم يقل ذلك أحد، لكن هذه محرمات لايُنازع فيها، لكن هذا زنى مجازي، هذا معنى أن الفرج يُصدق ذلك، يعني الفرج يؤول بالإنسان من القبلة إلى الوقاع، من النظرة إلى الوقاع، من الاستماع إلى الوقاع، من الكلمة إلى الوقاع، من الضمة إلى الوقاع، يحوله لزنى حقيقي أو يقف عند هذا الحد؛ لأن الفرج لم يستجب، فإذا استجاب الفرج لداعي الفاحشة لكان زنىً حقيقياً، فصدق الفرجُ الأعضاءَ، وإذا توقف ولم يذهب في هذه الجهة، هو حرام أيضاً لكن لايُوجب حداً، لكن جعله زنىً مجازياً والله أعلم.

كُتب على ابن آدم حظهُ من الزنى مدركٌ ذلك لامحالة، وهذا خرج مخرج الإخبار عن الأمر الكوني القدري، لما يقول النبي صلى الله عليه وسلم هذا، يقوله لماذا؟ هل يقول قبلوا النساء غير المحارم، وانظروا لسوءات وعورات النساء؟! حاشا لله، لكن أين ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ النور: ٣٠، أين {لا يَخلُوَنَّ رجلٌ بامرأة} وأين {لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد؛ خير له من أن يمس امرأة لا تحل له} كل هذا محاذير و موانع، لكن ماهو المراد؟ هذا إخبار أنه حاصلٌ لامحالة، وأن الله قضى فيما قضى وقدر في سالف الدهر قبل أن يخلق الخلق، وكتبه في لوحه بخمسين ألف سنة إنه

سيقع من فلان زنا وسيقع من فلان زنا حقيقي زنا مجازي، قُبلة نظرة ضمة كلمة إلى آخره، مُدركٌ ذلك لامحالة، وليس كل الناس متساوين، لو حصل هذا حصل بقدر الله – سُبحانه وتعالى -.

يقول بعد هذا والباب الذي بعده في **عذاب القبر**

٢٥٧- ثم الإيمان بعذابِ القبرِ وبمُنكر ونكير. ـ وطبعاً رد المعتزلة هذه الحقيقة العقدية، وهذه المسلمة السنية السلفية، بحجة أن هذه أحاديث آحاد وأنه لم يأتِ له ذكرٌ صراحةً في القرآن، وأنه لايُقبل بأحاديث الآحاد في أمور الاعتقاد، ونحا نحوهم أيضاً بعض معتزلة العصر، وانتبه أن المعتزلة لم ينتهوا، بل بالعكس المعتزلة يتجذرون وينتشرون ويدخلون في مؤسسات علمية كبيرة جداً جداً من أوسع أبوابها، تكلموا بكل جرأة فقالوا : الفكر الإسلامي الوحيد هو الفكر الاعتزالي، قالوا ذلك صراحة، وعلى موائد البحث العلمي وعلى قاعات المحاضرات والمناقشات، ومناقشات الرسائل العُليا، فأنت متصور أنه لم يسمع أحد بالمعتزلة إلا أنت! أنت الذي تحبس نفسك في قمقم، فالمعتزلة كذَّبوا بعذاب القبر، وطبعاً أفراخهم المعاصرون يقولون: أيُّ عذاب قبر؟! اترك هذا الرعب الذي تعيشون فيه، هل بعد العيد يتفتل الكحك؟! أصبح الرجل كومة تُراب فما الذي سيتعذب وما الذي سيتنعم؟! يوم القيامة يحلها ربنا، وطبعاً مُعظمهم لايؤمن ببعث الأجساد، لا أقصد المعتزلة، أنا أقصد أفراخهم الذين ذهبوا إلى الناحية الثانية، بحر الضلالة وذهبوا في بحر جديد.

فالمعتزلة يقولون يوجد بعث أجساد لا يناقشون، لكن هؤلاء، ينكرون أيضًا بعث الأجساد، طبعًا القيامة وربنا سيُحيينا مرة أخرى، لكن صفة الإحياء صفة البعث اجعلها جانبًا أروقة الزندقة على جنب في الضيق، في أحضان القديسين، نمررها مسيحية وانتهينا، اجعلها في أحضان القديسين وانتهينا، إنما جنة وأكل وشرب، أي شرب هذا؟! الإنسان سيكون تُراباً، يعني هو كل واحد في قلبه ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ١٦﴾ الصافات: ١٦، فكر بالعقل، مع أن المعتزلة أنصار العقل يقولون ببعث الأجساد، فلماذا تنكره أنت بالعقل؟!!

٢٥٨- قال النبي صلى الله عليه وسلم **فيما روى عنه البراء : استعيذوا بالله من عذاب القبر**، ــ في الحديث الطويل جدًا جنازة الرجل الأنصاري أن النبي **صلى الله عليه وسلم** أمرهم ثلاثاً بالاستعاذة من عذاب القبر قبل أن يفرغ من دفن الرجل، أو يفرغ الصحابة من دفنه، يقول : كنا في جنازة، رجل من الأنصار مع رسول **صلى الله عليه وسلم** فجلس رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير، وفي يد رسول الله **صلى الله عليه وسلم** عودٌ ينكت فيه بالأرض وينظرُ إلى السماء ثم قال : استعيذوا بالله من عذاب القبر، قالوا نعوذ بالله من عذاب القبر، استعيذوا بالله من عذاب القبر، قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر، ثمَّ ساق قصة رحلة الروح إلى السماء، ويوجد محاضرة " رحلة الروح إلى السماء " للدكتور محمد إسماعيل المقدم محاضرة جميلة ساعة ونصف أو ساعتان وأظنها جزئين، يتكلم فيها بشرح حديث البراء بالتفصيل كلام محترم جداً وسهل.

فهنا النبي **صلى الله عليه وسلم** قال : إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا، وإقبالٍ من الآخرة نزل إليه ملائكةٌ من السماء بيض الوجوه بيض الثياب معهم كفنٌ من أكفان الجنة، وحنوطٌ من حنوطها حتى يجلسوا منه مدَّ البصر، ثم يأتيه ملك الموت **عليه السلام** حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة أيتها الروح الطيبة اخرجي إلى روحٍ وريحان وإلى ربٍ راضٍ غير غضبان، قال : فتخرج روحه تسيل كما تسيل القطرة من فيّ السقاء، فما من ملكٍ في السماء إلا ويدعون الله - **عز وجل** - أن يُعرج بروحه من قبله، والملائكة الذين هم معه في احتضار الميت لايدعونها في يده طرفة عينٍ أبداً حتى يضعوها في ذلك الكفن وفي تلك الحنوط فيصعدون بها.

الملائكة التي في السماء يدعون الله أن يُعرج إليه من قبلهم، كلما يكون عند باب سماء يستفتح فيُقال من؟ فيُقال فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كان يسمونه بها في الدنيا، فيشيعه من كل سماء مقربوها، إلى السماء التي تليها إلى السماء السابعة، فيقول الله - **عز وجل** -: اكتبوا كتاب عبدي في عليين ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠﴾ المطففين: ١٩ – ٢٠، وأعيدوه إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارةً اخرى، قال : فتُعاد روحه في جسده، وطبعاً هنا علاقة الروح بالجسد في مرحلة القبر لها أحوال وأطوار، أول ما يوضع الإنسان في قبره يكون هناك اتصال الروح بالجسد؛ لأجل أن يشعر بضمة القبر، ثم يقوى اتصال الروح والجسد ويضعف بعد

سؤال الملكين، والعذاب أو النعيم، وابن القيم تكلم في كتاب : " الروح " بحث جيد في مسألة علاقة الروح بالجسد في عا لم البرزخ والدور الثلاثة وكلام جيد ممكن تقرأ في الكتب كتاب التذكرة .

وقال الله - عز وجل - ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ طه: ١٢٤، ـــ يقول : يعني في ظواهر القرآن تدل على ثبوت عذاب القبر، فأدلة كثيرة جدًا، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ ، قال طائفةٌ من المفسرين : هو عذاب القبر، وتفسير قول الله – **سُبحانه وتعالى** -﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ غافر: ٤٦، فما النار التي يُعرضون عليها غدواً وعشياً قبل الساعة غير البرزخ ؟ وقول الله - **عز وجل** - ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ السجدة: ٢١، فالعذاب الأدنى بالقتل والأسر في الحياة الدنيا وجاءت من للتبعيض : أنهم لا يُعذبون كل العذاب الأدنى بالقتل والأسر وإنما يُعذبون منه، فتتبقى فضلة يأخذونها في القبر، من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر الذي هو عذاب الخلود في النار عياذاً بالله، وطبعاً قول الله - **عز وجل** - ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ﴾ إبراهيم: ٢٧، قال النبي **صلى الله عليه وسلم**: هي نزلت في عذاب القبر والذي نفسُ محمدٍ بيده، والحديث في الصحيحين حديث البراء، فماذا تريد أوضح من ذلك!

فهذا القرآن إن كنت حقًّا تريد القرآن، وطبعاً المشكلة مع المعتزلة ليست مشكلة قرآن ولا غير قرآن، هو لا يُقدِّر دلالة الوحي أساساً، لكن هو لأجل أن يهرب من الأحاديث يقول : لم يأتِ في القرآن، فهل لو أتى في القرآن لن يفرق معك ، لو جاء له في القرآن إن الناس يُعذبون في قبورهم، يقول: أجل لكم من هم هؤلاء الناس؟! وما معنى يُعذَّبون؟! وما معنى قبورهم! والباء فيه كذا، فتجد أن الموضوع ذهب في ناحية أخرى تمامًا، فهو لن يُغلَب، فالقصة ليست قصة دليل.

كان بعض معتزلة العصر أسأل الله - **عز وجل** - أن يكون الله توفاه على الإسلام الدكتور مصطفى محمود غفر الله له وسامحه الله، عمل بحثًا أن الجنة والنار حالة شعورية لايوجد أصلاً جنة ونار، هذا مترتب على نفي بعث الأجساد، نفس الفكر إياه، فقال: من باب أنت فرحي وأنت جرحي

وهكذا، وأنت جنتي وناري فالجنة هكذا، يعني الحياة جميلة هذه الجنة ، والغم والتبرم هذه النار ، لايوجد شيء آخر، والرجل لا شك خلط عمل صالحاً وآخر سيئاً نسأل الله أن يغفر له.

٢٥٩- **وقال النبي** صلى الله عليه وسلم **يُقْعَد الميت في قبره** فيرى مكانه في الجنة ومقعده من النار، ما منكم من أحدٍ إلا ويعرض عليه مقعده في قبره إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار.

٢٦٠- **وقال** صلى الله عليه وسلم: **لو نجا أحد من ضمة القبر أو ضغطة القبر لنجا سعد بن معاذ.**

٢٦١- **وقال الله** ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ طه: ١٢٤، **قال أصحاب التفسير : عذاب القبر.**

فالأدلة على عذاب القبر من القرآن ظواهر القرآن تؤيد أن في القبر عذاباً ونعيماً، ولكن أنتم تقولون عذاب القبر؟! عذاب القبر مشهور والأدلة جاءت في هذا اللفظ كثيرًا، أنتم ما عندكم نعيم القبر؟! والله ليس نحن الذين فصلناه، هذا هو ظاهر الأدلة التي يقول ذلك في عذاب ونعيم، لكن المسألة كلها كانت في مسألة : لماذا يُعذب وقد صار تُراباً؟ فهذه هي التي قالها المشركون للنبي **صلى الله عليه وسلم** لأنها تشبه مسألة بعث أجساد الناس في القيامة، أنت تسأل عن الكيفية، وقد قلنا لكم كثيراً ونقول: أن باب العقائد كله على الحقيقة بلا كيف نؤمن بكل ما صح به الخبر حقيقةً بلا كيفَ.

ثم يتكلم عن صيحة النشور

٢٦٢- **قال : ثم من بعد ذلك : الإيمانُ بالصَّيحةِ للنُّشُور** ـ الصيحة التي هي صوت إسرافيل **عليه السلام** حين ينفخُ في البوق أو في الصور، الصور يعني البوق، فإذاً هنا صوت إسرافيل، ليس إضافة الصفة إلى الموصوف، إضافة الفعل إلى فاعله، لأن الصوت هذا صوت البوق وليس صوت إسرافيل عليه السلام ـ، **للقيام من القبور، فيلزم القلب أنك ميتٌ ومضغوطٌ في القبر، ومُساءَلٌ في قبرِك،** ـ يعني يلزم القلبُ هذا الاعتقاد، على القلب أن يلزم هذا الاعتقاد : أنك ميت، لابد أن تعتقد أنك ميت، لأن ربنا قال للنبي **صلى الله عليه وسلم** ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠﴾ الزمر: ٣٠، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ٢٦﴾ الرحمن: ٢٦.

ويقول الشيخ الحكمي في منظومته: *وَيَدْخُلُ الْإِيمَانُ بِالْمَوْتِ وَمَا* *مِنْ بَعْدِهِ عَلَى الْعِبَادِ حَتْمَا*

إذاً من أول مراتب الإيمان باليوم الآخر : الإيمان بالموت والذي هو مُفارقة الروح للجسد، هذا أبسط تعريف للموت : مُفارقة الروح للجسد، لأن ربنا – سُبحانه وتعالى -كتب للروح الخلود إما في العذاب وإما في النعيم، فهي إما مُتصلة وإما مُنفصلة، فالذي يحصل عندما يقولون خرجت روح فلان بمعني انفصلت من جسده، وليس روحه ماتت ــ، **فيلزم القلب أنك ميت، وأنك مضغوطٌ في القبر، وأنك مُساءلٌ في قبرك ، ومبعوثٌ من بعد الموت فريضةً لازمةً،** ــ يلزم ذلك فريضةً لازمة ــ، **من أنكرَ ذلك كان بهِ كافراً.**ــ لكن التفصيل في جزئية الكُفر في مسألة عذاب القبر فيها نظر؛ لأن جمهور أهل العلم يقولون : تكذيب عذاب أو إنكاره بدعة غليظة وإن لم تكن كُفراً، لماذا؟ لأن دلالتها في القرآن ليست قطعية، والأحاديث النبوية قد يُطعن فيها بأنها آحاد أو كذا، فهي ليست بالمسألة التي يقال على مُخالفها كافر، فيقال على مخالفها صاحب منكر عظيم، صاحب بدعة غليظة، لكن ليس إلى حد الكفر والله تعالى أعلى وأعلم.

٢٦٣- **قال النبي** صلى الله عليه وسلم: **إنكم تحشرون من قبوركم حُفاةً عراةً غُرلاً.** ــ الحفاة: جمع حافٍ معروف، والعراة جمع عارٍ معروف، والغرال جمع أغرل وهو ذو القلفة الذي لم يُختن ــ، **وقال الله تبارك وتعالى** ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ المعارج: ٤٣، ــ الأجداث؛ جمع جدث الذي هو القبر ــ **فمن كذب بآيةٍ أو بحرفٍ من القرآن أو ردَّ شيئاً مما جاء به رسول الله** صلى الله عليه وسلم **فهو كافر،** ــ يعني ممن هو مقطوع به عن النبي صلى الله عليه وسلم تسليماً ــ.

ثم يتكلم عن البعث والصراط

٢٦٤- **ثم الإيمان بالبعث والصراط** ــ الصراط بالسين ، وبالزاي ، وبالصاد ، أشهرها الصاد، وهذه قراءات معروفة ــ ثم الإيمان بالبعث والسراط ــ هي هي الصراط هي هي الزراط ــ، **وشعار المؤمنين يومئذٍ : سَلِّم سَلِّم،** ــ المؤمنون عموماً والأنبياء على الخصوص طبعاً، لأن في حديث مسلم : ودعوى الرسل يومئذٍ ربِّ سَلِّم سَلِّم ــ.

٢٦٥- والصراط جاء في الحديث أنه : أحدُّ من السيف وأدقّ من الشعرة، _

والصراط جسرٌ منصوبٌ على متن جهنم أي ظهرها، جسرٌ حقيقي، يوطئُ بالأقدام ويمرُ الناسُ عليه، وليس هو عبارة عن انتقال الإيه إلى الإيه فهذا كلام فارغ، وجهنم كالحفرة عافاكم الله - **عز وجل** - والمسلمين منها، والصراط من أرض المحشر إلى الجنة ونصف المسافة كالكوبري المعلق على البحر، والله أعلى وأعلم بكيفيته، ولكن هذا تقريب لفكرة العبور نفسها، أنك في أرض حفرة، وهذه الأرض أرض المحشر، ثم حُفرة عميقة جدًا تسع أهل الأرض منذ أن خلق الله آدم إلى آخر رجل تقوم عليه الساعة وهي تقول : هل من مزيد، لاتزال جهنم يُلقى فيها وهي تقول هل من مزيد.

وأنت تعرف ذرية بني آدم وهي ٩٩٩إلى واحد، وكل هذا والواحد فقط كما يأتي صفة أهل النار في النار، كما قال النبي **صلى الله عليه وسلم**: **يعظمُ** جسمُ الكافر في جهنم حتى أن ضرسه مثل جبل أحد، تخيل أنت التضخم، لأجل يتعرض لأكبر كمية من العذاب، وأن مقعدته كمقعدة كما بين مكة وآيلة، بلاد الشام القدس، بيت المقدس، هذا المكان الذي يقعد فيه، السِنَّة الواحدة بمقدار جبل أحد ، ٣٢ سنة في فم في دماغ على جسم، كائن مهيب! لأجل أن يتوسع الجسم ليتعرض للعذاب أكثر هؤلاء هم الكفار عياذاً بالله، ثخنُ جلده ؛ الحديث في مسلم، إن ثخن جلده مسيرة ثلاثة أيام للراكب المُسرع، يعني ثخانة الجلد لأجل أن تمشيها بقطاع سطحي، تمثل خطاً تمشي بالحصان ثلاثة أيام لأجل أن تخلص ثخانة الجلد، هذا مسخ عجيب، وهذا شكل الكافر في جهنم عياذاً بالله، وانظر كم عدد الكفار، ولاتزال يُلقى فيها وتقول هل من مزيد، فهذه الحفرة التي عليها الصراط.

وكما قال النبي **صلى الله عليه وسلم** في وصف الصراط : دحض مزلةٍ، على الإضافة، أو دحضٌ مزلةٌ، يعني مزلةٌ لا يُقيل عثرتها إلا الله – **سُبحانه وتعالى** -، وما وفق إليه من عملٍ صالح ، غير ذلك فلا، وكل إنسان يمر على الصراط، كما وصف النبي **صلى الله عليه وسلم** منهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر

كالرعد، ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، ومنهم من يمر كشد الرجال أي كمثل الرجل المسرع، ومنهم من يمشي مشياً ، ومنهم من يحبو حبواً ومنهم من تزلق رجل وتعلق يد ، وتزلق يد وتعلق رجل، وصفة الناس عليه، والكلاليب التي على الصراط عافانا الله وإياكم من كلاليب الصراط، النبي **صلى الله عليه وسلم** قال :عليه شوكةً مفلطحةً وخطاطيف وكلاليب كوشكة السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟ معظم أهل البادية يعرفونها، النبي **صلى الله عليه وسلم** يوصف لهم حاجة هم يعرفونها، وهذا تقريب من النبي **صلى الله عليه وسلم**؛ لأجل أن يفهم ما معنى خطاف، وما معنى كلوب ولو من حديد، وكما قال بعض شُراح العقائد : أنها على أسماء الأعمال، كلوب الصلاة كلوب الزكاة كلوب الصيام كلوب ستر العورة كلوب الحقوق كلوب الزنا كلوب السرقة كلوب القتل كلوب الكذب عافانا الله والمسلمين، فالذي يفلت من واحدة يخطفه الثاني، وينزل به في النار ويخرج على ما قدَّر الله له من حياته، وهذا يُساوي دحض المزلة فأين ستضع رجلك؟

السيدة عائشة **رضي الله تعالى عنها وأرضاها** أم المؤمنين تسأل النبي **صلى الله عليه وسلم** بقولها : يا رسول الله أين يكون الناس يوم تُبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال : هم في الظلمة دون الجسر، وفي روايةٍ هم على الصراط، الآية ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ٤٨﴾ إبراهيم: ٤٨، وأين الناس؟ الناس في القبور وفي الحشر هم أصلاً طلعوا ثم ستُبدل، أين يذهبوا ؟ قال : هم في الظلمة دون الجسر، أرض المحشر في ظلمة تُلقى عليهم الظلمة ثم يُعطون النور على قدر أعمالهم، فمنهم من نوره كالجبل العظيم ومنهم من نوره كالنخلة ومنهم من نوره كقامة الرجل ومنهم من يُعْطي نوراً على إبهام قدمه، يضيء مرة ويطفأ أخرى.

نكتفي بهذا القدر وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً